مقاصد الحوار مع غير المسلم ووسائل تحقيقها

د. عمر بن صالح بن عمر(*)

(*) أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة.

ملخص البحث:

مما تسعى إليه هذه الدراسة: إبراز المقاصد الشرعية للحوار المشروع مع غير المسلمين، وتوعية الناس بمقاصد الحوار، دون إعطاء الدنية في ديننا، ودون ظلم لغيرنا؛ ولتحقيق الأهداف المنشودة جاءت الدراسة بعد هذه المقدمة في خمسة مطالب وخاتمة.

المطلب الأول: مقصد بيان الحق وعرض محاسن الإسلام؛ وذلك بإيجاد مساحة مع غير المسلم للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وللتعريف بالإسلام، مع إيجاد مساحة من الود والتفاهم يستطيع المسلم وغير المسلم التعامل من خلالها في إطار مشترك من القيم الإنسانية العليا.

المطلب الثاني: مقصد التعارف بمفهومه الشامل الذي يمكن أن يسع كل المعاني التي تدل على التعاون والتعايش السلمي، ويستوعب في الوقت ذاته قيم الحوار والجدال بالتي هي أحسن، مع الاحترام المتبادل.

المطلب الثالث: مقصد التعاون الذي لا ينحصر في نطاق الأمة الإسلامية، بل يَسَعُ "البشرية" بأكملها، دون تخصيص طرف على طرف، مما يكون له الأثر الجيد في "التواصل الحضاري بين الشعوب».

المطلب الرابع: مقصد التعايش السلمي بين الناس ببناء أسس مشتركة لذلك، ونبذ العنف، وترويض النفس، وحملها على احترام الرأي المخالف؛ سعياً للوصول إلى الحق، وعدم التردد في التراجع عن الرأي إذا تبين خطؤُه وصحةُ رأي الآخر.

المطلب الخامس: وسائل تحقيق مقاصد الحوار من: موضوعية وتواضع في الحوار، وتجرد لله ورغبة في الوصول إلى الحق، ومحاورة بالتي هي أحسن، مع توخي الأسلوب الحسن في إطار العلم والإنصاف في الحوار، والشعور بالتكافؤ بين المتحاورين، وتجنب التشويش عليهم، والموازنة بين أقوالهم وبراهينهم.

وعرضتُ في الخاتمة أهم النتائج المتوصل إليها، وبعض التوصيات.

مقدمة:

لقد بلغت البشرية نضجها العقلي، وحققت وعيها الروحي والذوقي لما جاء القرآن الكريم بمُثُلِه العليا وقِيَمه الإنسانية، فدعا إلى الحوار ووسع من دائرته لتشمل عدداً لا يحصى من المسائل، فتنوعت القضايا المطروحة التي خلدها لنا القرآن، وتعددت أصناف المحاورين؛ فهناك محاورات بين الخالق جل جلاله وبين مخلوقاته من الرسل الكرام – عليهم السلام – والملائكة المقربين، والشيطان الرجيم... ومحاورات بين الرسل – عليهم السلام – وأقوامهم، ومحاورات بين الأخيار والأشرار... وإذا خاطب القرآن هذه الفئات الموجودة يومها، فإنه بلا شك يدعو إلى مخاطبة أية فئة جديدة توجد عبر التاريخ مهما تنوعت مقولاتها الفكرية وتوجهاتها العقدية ليبرهن على مقدرة العقل الإسلامي لمناقشة أي فكر مستجد، ومحاورة أصحابه بكل ثقة ولطف.

ومن هنا تتمثل إشكالية هذه الدراسة في تحديد المقاصد المعتبرة من الحوار مع الآخر، وذلك للبرهنة على عدم صحة ما ساد في نفوس كثير من الناس من غير المسلمين ومن تأثر بهم من المسلمين: من أن الإسلام لم ينتشر إلا بحد السيف، وأن المسلمين لا يعرفون إلا العنف والتطرف، ويجهلون لغة الحوار، فأصبح لزاماً على كل مسلم غيور على دينه أن يبرهن على قدرته على التحاور والتواصل مع الآخرين في زمن تموج فيه أطروحات مختلفة، وآراء متباينة حول: "الحوار" بين المسلمين وغيرهم، منها: ما هو حق، ومنها: ما هو باطل.

ولما للحوار من أهمية كبرى، ولانتشاره الواسع حتى أصبح ينادي به القاصي والداني، المسلم وغير المسلم، جاءت هذه الدراسة مقتصرة على ذكر مقاصده الشرعية ووسائل تحقيقها، خاصة لما يتمتع به علم المقاصد من القواعد والأسس التي يمكن أن تساعد على ضبط عملية "الحوار" وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

أهمية الدراسة:

أضحت أهمية الحوار من الحقائق الواضحة التي لا يختلف فيها اثنان، لا سيما في هذا العصر الذي تشابكت فيه المصالح، ونودي فيه بنظام عالمي

جديد، وتنوعت تكنولوجيا الاتصالات وتطورت تطوراً هائلاً، مما جعل العالَم على سعته قريةً صغيرةً. وبذا لم يعد الحوار ترفاً عقلياً، ولا أمراً هامشياً، بل تحول إلى سلوك حضاري تدعو إليه النصوص الشرعية، وتمليه ظروف الناس الحياتية. وتبدو هذه الأهمية في جملة من الأمور؛ منها:

١ – أن الحوار مشروع ومأمور به شرعاً؛ لما يلحظه القارئ لكتاب الله العزيز من آيات عديدة في مختلف السور يغلب عليها طابع الحوار، ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، ومناقشة عقائدهم.

٢ – أن الحوار يساعد على إحقاق الحق وتجنب الخسران في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ (العصر:١–٣).
ولا يتأتى هذا التواصي إلا بالحوار الذي به تتم دراسة الأمور، والتشاور فيها، والتخطيط لها من ذوي الاختصاص. وإذا تم التنفيذ يتحول الحوار إلى النقد والتقويم إذ (الدين النصيحة)[١] كما قال الرسول ﷺ.

٣ – أن للحوار مكانة مرموقة في الفكر الإنساني لكونه الوسيلة الأسلم والطريق الأقوم للتفاهم مع الغير، وبناء جسور التواصل معهم والتكامل، فهو مفتاح من مفاتيح القلوب وأداة من أدوات التفاهم والتواصل، ووسيلة من وسائل التعارف والتآلف والتعاون.

٤ – أن للحوار مساهمة في التقدم الحضاري، والرقي البشري خاصة عندما يكون هذا الحوار مستنيراً بنور القلوب السليمة، والعقول المستقيمة، فبه تتحقق المواجهة المباشرة بين القلوب والعقول؛ ليرسم لنا شبكةً رائعةً من العلاقات الإنسانية.

٥ – أن الحوار يساعد على التشاور بين الناس جميعاً، ويشحذ هممهم للتعاون المثمر فيما اتُّفِق عليه من المصالح الدنيوية مما ينفع العباد ويدفع عنهم الفساد، ويفتح أمامهم آفاقا متعددة من المجالات التنموية.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٧٤: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.

وهو من أهم العوامل التي تعين على التعايش السلمي بين مختلف الشعوب، ويؤمن لهم الأجواء المناسبة للعيش في أمن وأمان وسلم وسلام.

٦ - أن الحوار يربي النفوس على التحلي بالفكر النقدي، ويطهر القلوب من الحقد والكراهية، فإذا كان الكره فإنما هو للأفعال لا للأشخاص.

٧ - أن للحوار قدرة على التوعية المشتركة، وعلى تبادل الخبرات، وتصحيح المعلومات، وتقويم الأخطاء، وتدارك النقص.

أهداف الدراسة:

من الأهداف التي تسعى الدراسة إلى تحقيقها:

١ - إبراز المقاصد الشرعية للحوار المشروع مع غير المسلمين، الذي لا يسعى إلى تحقيق وحدة الأديان الموجودة حاليا من إسلام ومسيحية ويهودية - كما يظن البعض- وإنما يقصد به بيان محاسن الإسلام، وتصحيح ما يتعرض له من تشويه وتضليل، مع بيان سماحة الإسلام، والدعوة إلى التعايش السلمي بين الناس أجمعين.

٢ - توعية الناس بمقاصد الحوار دون إعطاء الدنية في ديننا، ودون ظلم لغيرنا.

٣ - الأخذ بهذه المقاصد؛ يأخذها المسلم على أنها مقاصد شرعية، ويأخذ بها غير المسلم على أنها مقاصد إنسانية.

٤ - توعية المسلم بالنصوص الشرعية والتعاليم الإسلامية الداعية إلى الحوار الهادف، والقائم على المنطق السليم، وعلى الحرية في إبداء الرأي.

خطة الدراسة:

لتحقيق الأهداف المذكورة جاءت الدراسة بعد هذه المقدمة في خمسة مطالب:

تناول المطلبُ الأول المقصدَ الأول من الحوار وهو: بيان الحق وعرض

محاسن الإسلام. وذلك بإيجاد مساحة مع غير المسلم للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وللتعريف بالإسلام، مع إيجاد مساحة من الود والتفاهم يستطيع المسلم وغير المسلم التعامل من خلالها في إطار مشترك من القيم الإنسانية العليا.

وتناول المطلب الثاني المقصد الثاني من الحوار: التعارف بمفهومه الشامل الذي يمكن أن يسع كل المعاني التي تدل على التعاون والتعايش السلمي، ويستوعب في الوقت نفسه قيم الحوار والجدال بالتي هي أحسن، مع الاحترام المتبادل.

وجاء المطلب الثالث في المقصد الثالث من الحوار وهو التعاون الذي لاينحصر في نطاق الأمة الإسلامية، بل يَسَعُ "البشرية" بأكملها، دون تخصيص طرف على طرف، مما يكون له الأثر الجيد في "التواصل الحضاري بين الشعوب".

وتحدث المطلب الرابع عن المقصد الرابع من الحوار وهو التعايش السلمي بين الناس ببناء أسس مشتركة لذلك، ونبذ العنف، وترويض النفس، وحملها على احترام الرأي المخالف؛ سعياً للوصول إلى الحق، وعدم التردد في التراجع عن الرأي إذا تبين خطؤُه وصحةُ رأي الآخر.

وعرض المطلب الخامس وسائل تحقيق مقاصد الحوار من: موضوعية وتواضع في الحوار، وتجرد لله، ورغبة في الوصول إلى الحق، ومحاورة بالتي هي أحسن، مع توخي الأسلوب الحسن في إطار العلم والإنصاف في الحوار، والشعور بالتكافؤ بين المتحاورين، وتجنب التشويش عليهم، والموازنة بين أقوالهم وبراهينهم.

واختتمت الدراسة بخاتمة حَوْصَلَتْ أهم النتائج المتوصل إليها، وأوصت ببعض التوصيات.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع النصوص الشرعية واستخلاص المقاصد منها، مع تحليل لتلك النصوص والمقاصد.

تمهيد

تعريف الحوار

الحوار والتحاور والمحاورة: مراجعة الكلام[1]. وهو من المصطلحات التي ورد ذكرها في كتاب الله في قول الله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ (الكهف: من الآية ٣٤)، وفي قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ (المجادلة: من الآية ١). كما ورد في الكتاب العزيز مصطلح: "المجادلة" بمعنى "المحاورة" في قوله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ (المجادلة: من الآية ١). قال ابن عاشور: "المجادلة: الاحتجاج لتصويب رأي وإبطال ما يخالفه..."[2]. وقد يراد بها: "المنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم، سواء أكان كلامه في نفسه فاسداً أم لا"[3]، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل: من الآية ١٢٥). و"الجدل: من قولك: جدلت الحبل أجدله جدلاً، إذا فتلته فتلاً محكماً، وله بهذا الاشتقاق معنيان:

- أحدها: أن يكون استعمالك إياه في محافل النظر سبباً لفتل خصمك إلى موافقتك بتوجيه أدلتك، وإبطال شبهه.
- الثاني: أن يكون سمي بذلك لكونه محكماً للأدلة والأسئلة والأجوبة مبرماً لمنتشرها بقوانينه المعتبرة"[4].

وعرفه الخطيب البغدادي بأنه: "تردد الكلام بين شخصين إذا قصد كل واحد منهما إحكام قوله؛ ليدفع به قول صاحبه"[5].

---

(١) ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة ١١٧/٢. وابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب ٢١٨/٤.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير ٣٢٨/١٤/٦.

(٣) الكفوي، أبو البقاء: الكليات/٨٤٩. وذكر الكفوي في ذات الصفحة: أن المجادلة قد تتحول إلى مكابرة إذا علم بفساد كلامه، وصحة كلام خصمه ونازعه فيه. وتتحول إلى معاندة مع عدم علمه بكلامه وكلام صاحبه فنازعه.

(٤) ابن الجوزي، يوسف بن عبد الرحمن: الإيضاح لقوانين الاصطلاح، القسم الثاني، ص٦.

(٥) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ٥٥١/١.

ومن المصطلحات ذات العلاقة بالحوار التي لم يرد ذكره في القرآن الكريم: "المناظرة" وهي: "النظر بالبصيرة من الجانبين، في النسبة بين الشيئين، إظهاراً للحق"[١]. وقال الكفوي: "المناظرة: النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين؛ إظهاراً للصواب، وقد يكون مع نفسه"[٢].

---

(١) الجرجاني: التعريفات/ ٢٣٢.

(٢) الكفوي، أبو البقاء: الكليات/ ٨٤٩.

المطلب الأول

مقصد بيان الحق وعرض محاسن الإسلام

يعد الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن امتثالاً لأوامر الله (التي تحث المسلمين على إقامة الحجة لتقريب القلوب والعقول إلى الإسلام، وسعياً لتحقيق مقاصده المشروعة مثل:

١ - حفظ الدين، وذلك بإيجاد مساحة مع غير المسلم لدعوته إلى الله، في جو من الود والتفاهم، والتعامل معه في إطار مشترك من القيم الإنسانية العليا. يقول إمام الحرمين: "فأما القول في أصل الدين، فينقسم إلى: حفظ الدين بأقصى الوُسْع على المؤمنين، ودفع شبهات الزائغين، وإلى دعاء الجاحدين والكافرين إلى التزام الحق المبين"(١). وقد وظف جميع الأنبياء - عليهم السلام - الحوار لنشر الدين، والدعوة إليه حتى تواصى أقوامهم بعدم السماع لهم، فقال الله سبحانه حكاية عن قوم نوح عليه السلام": ﴿قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (هود:٣٢) وقال سبحانه حكاية عن مشركي العرب: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت: ٢٦). ويحكي لنا الطفيل بن عمرو الدوسي قصة إسلامه، وما جرى له مع قومه فيقول: "فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع من رسول الله (شيئا ولا أكلمه، فغدوت إلى المسجد وقد حشوت أذنيّ كرسفا"(٢).

٢ - محو الصورة المشوهة للإسلام التي رسمتها أقلام المغرضين والحاقدين، سواء في الوسائل الإعلامية أو الكتب المدرسية؛ فبالحوار تغربل كل الشوائب والتشويهات والأفكار الخاطئة والتحريفات التي

---

(١) الجويني، عبد الملك: غياث الأمم والتياث الظلم ١/١,١٣٥

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/٢٣٨. والكرسف: القطن (ابن منظور: لسان العرب ٩/ ٢٩٧).

ألحقت بالإسلام، حتى "إن مِن أهل الكتاب مَن يَبْلُغهم الإسلام، ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون إلى أجوبة عليها"[1].

٣ - دعم المسلمين معنوياً، وبخاصة في البلدان الغربية، أو البلدان التي تواجه حملات تنصيرية. وعرض الإسلام الداعي للتسامح مع البشرية قاطبة، ونشر الرحمة بين الناس، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

٤ - بيان الحق والتعريف بمحاسن الإسلام فيما يتعلق بتنظيم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وفيما يحقق له سعادة الدارين. مع مناقشة جملة من القضايا الهامة ذات الطابع المصلحي المشترك، تحترم فيها الخصوصية الثقافية والقيمية، ويُحَكَّم فيها العقل والعلم المجردين عن الأهواء والانفعالات، مع توخي الإقناع، والسعي إلى الوصول إلى الحق ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ (يونس: ٣٢)، ويقول الله عز وجل على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ (طه: ٢٥ - ٢٨). وبذلك تنتشر المفاهيم الإسلامية السمحة، وقيمه الأخلاقية العليا مثل العدالة، والتسامح، والتعارف، والتعاون، وذلك عن طريق إقامة الحجة، والإتيان بالدليل الواضح، والبرهان الساطع، لا عن طريق اللجاجة أو الانقياد إلى الأهواء، يقول الله عز وجل: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

وبمثل هذا الهدي الرباني يمكن التوصل إلى الحق، ونشر الفضيلة، ومما

---

(١) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، بمعناه ١/٧٦.

يؤكد هذا التوجه قول الرسول ﷺ: (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها)[١].

وها هو الرسول ﷺ يأتيه حبر من الأحبار ليقول له: "يا محمد، نِعم القوم أنتم، لولا أنكم تشركون!" قال رسول الله ﷺ: (سبحان الله! وما ذاك؟) قال: "تقولون إذا حلفتم: والكعبة". قالت (أي قتيلة بنت صيفي الجهنية راوية الحديث): فأمهل رسول الله ﷺ شيئاً، ثم قال: (إنه قد قال، فمن حلف فليحلف برب الكعبة). قال: "يا محمد، نِعم القوم أنتم، لولا أنكم تجعلون لله نداً!" قال: (سبحان الله! وما ذاك؟) قال: "تقولون: ما شاء الله وشئت". قالت: فأمهل رسول الله (شيئا، ثم قال: (إنه قد قال، فمن قال: ما شاء الله، فليفصل بينهم: ثم شئت)[٢]. انظر كيف استمع الرسول (إلى هذا الحبر، واستفاد من انتقاداته بكل تواضع واحترام.

وانظر إلى الحوار الدائر بين النبي ﷺ وقومه من قريش بالحديبية، وما أثمره من صلح فتح الله به باباً جديداً لإبلاغ الحق ونشر الإسلام في جزيرة العرب بسرعة لم يسبق لها مثيل، وكان فتحاً مبيناً فتح الله بعده مكة المكرمة.

وجاء في قصة أبي هريرة . رضي الله عنه – لما وكله الرسول ﷺ بحفظ زكاة رمضان، وجاء الشيطان ليحثو من الطعام على ثلاث ليال متتاليات، فلما أراد أن يرفعه للرسول ﷺ قال له: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها: "إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ (البقرة: ٢٥٥) حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح"... فقال له النبي ﷺ: (أما إنه قد صدقك وهو كذوب. تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قال: لا، قال: ذاك شيطان)[٣]، ورغم أن

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ٣/٤٧٩، رقمه: ٢٦٨٧، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤٥/٤٣، رقمه: ٢٧٠٩٣ وقال المحققون: إسناده صحيح. وأخرجه الحاكم في صحيحه ٤/٢٩٧، وصححه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٨١٢، رقمه: ٢١٨٧؛ كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه. وما أوردته بعضا من الحديث.

النصيحة جاءت من الشيطان إلا أن الرسول ﷺ عدها نصيحة طيبة، ودعا للعمل بها أخذا بالقول الحق بقطع النظر عن الجهة التي جاءت منها.

وفي هذا يقول ابن تيمية: "لا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني – فضلا عن الرافضي– قولا فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق"(١). وقال: "وليس مما أمر الله به ورسوله ﷺ ولا مما يرتضيه عاقل أن تقابل الحجج القوية بالمعاندة والجحود، بل قول الصدق والتزام العدل لازم عند جميع العقلاء، وأهل الإسلام والملل أحق بذلك من غيرهم..."(٢). كل هذه النماذج تفيد أن المقصد من الحوارات – مع ما فيها من إخلاص لله وتواضع للحق– هو إحقاق الحق والدعوة إلى الله عز وجل. وقد يثمر الحوار ما لا تثمره الحروب، فيستقطب الناس، ويُلين القلوب، فمحاورة ابن عباس رضي الله عنه للخوارج من أهل حروراء – حين انتدبه علي بن أبي طالب رضي الله عنه لذلك – آتت ثماراً يانعة، فرجع أكثر من ألفين منهم عن مذهبهم، فكان ذلك ولا شك أبلغ من القتال(٣).

وفي المقابل ذم الله عز وجل لذين يتصفون بكتم الحق وتلبيسه بالباطل، فقد قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧١)، وقال: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة: ٤٢)، قال ابن عاشور: "وهذا اللبس هو مبدأ التضليل والإلحاد في الأمور المشهورة، فإن المزاولين لذلك لا يروج عليهم قصد إبطالها، فشأن من يريد إبطالها أن يعمد إلى خلط الحق بالباطل حتى يوهم أنه يريد الحق"(٤).

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أنه ليس من المقاصد الشرعية للحوار: التقريب بين الأديان أو توحيدها، إذ الدين عند الله هو الإسلام ﴿وَمَن يَبۡتَغِ

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ٢/ ٣٤٢.
(٢) ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل ٩/٢٠٧.
(٣) معرفة السنن والآثار ٧/٥٨٦. وتاريخ الإسلام ٣/٥٥٤.
(٤) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ١/١/٤٧١.

﴿غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥)، إلا أن يكون الاتفاق على ما كان من أصول شرعية كالإيمان بوحدانية الله ورسله واليوم الآخر، تحقيقا لقوله عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣).

ومما ينبغي ألا نغفل عنه: أن المقصد الأساس من الحوار هو تبليغ الدعوة بقطع النظر عن استجابة الطرف الآخر أو عدم استجابته، إذ الإسلام دين الفكر والحرية حتى ذهب قوله عز وجل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ﴾ (البقرة: ٢٥٦) مذهب الأمثال، واستجابة الناس أمر مرتبط بإرادة الله (وتوفيقه. ونحن لا نملك إلا بذل الجهد، والحرص على تبليغ دعوته على أحسن وجه، رائدنا في ذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: ٥٦).

المطلب الثاني
مقصد التعارف

من مقاصد الحوار: التعارف، وتعارف القوم: إذا عرف بعضُهم بعضا[(١)]. وعرف من المعرفة والعرفان، ويدل على السكون والطمأنينة، لأن من أنكر شيئاً توحش منه، ونبا عنه[(٢)]. ومما يدل على التعارف: قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣) جاءت هذه الآية لتأديب المؤمنين على اجتناب ما كان في الجاهلية من إعجاب كل قبيلة بفضائلها، وتفضيل قومها على غيرهم، واقتلاع العصبية الباقية في النفوس بسبب اختلاط طبقات المؤمنين... ونودوا بعنوان "الناس" دون المؤمنين رعياً للمناسبة بين هذا العنوان وبين ما صدر به الغرض من التذكير بأن أصلهم واحد، أي أنهم في الخلقة سواء؛ ليتوصل بذلك إلى أن التفاضل والتفاخر إنما يكون بالفضائل، وإلى أن التفاضل في الإسلام إنما يكون بزيادة التقوى[(٣)]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول الآية السابقة: (أنه لما كان يوم فتح مكة أمر النبي ﷺ بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فأذن... فاستنكر هذا الأمر سادة قريش، ومما قالوه: "ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا؟" فأنزل الله هذه الآية)[(٤)] تضع الموازين القسط للأشخاص، وتهدم قواعد الكبرياء، وتحطم فوارق الطبقات، وتصرح بأن الله عز وجل خلق الناس جميعاً في كل زمان ومكان، ومن جميع العروق والأجناس والألوان؛ ليتعارفوا ويتفاهموا ويتعايشوا في سلم وأمان. وأكد هذا المعنى رسول الله ﷺ في قوله:

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ٩/٢٣٧.

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٤/٢٨١.

(٣) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ١٠/٢٦/٢٥٨.

(٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣٤١. وعليوى، ابن خليفة: جامع النقول في أسباب النزول/٣٠٠.

(يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[(١)].

والتعارف مفهوم إنساني شامل لكل البشرية بدون استثناء في إطار الضوابط الأخلاقية، "يتسع لشمل التعاون والتعايش وكل ضروب العمل الإنساني المشترك لما فيه الخير والمنفعة لبني البشر"[(٢)].

ومثل هذا التعارف يثمر الاعتراف بحقوق الآخرين، ولا سيما الحقوق الطبيعية الأساسية التي يتساوى فيها البشر، وعلى ضوئها يعتبر القرآن البشرية أمة واحدة، قال ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾ (يونس: ١٩)، وقال: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ٢١٣)، و"الانتقال من وحدة الأمة الإسلامية إلى وحدة الجنس البشري هو الرسالة الخالدة التي عَهِد اللهُ إلى خاتم أنبيائه محمد ﷺ أن يحققها بين الناس كافة بالحكمة والموعظة الحسنة

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/٢٣٣، رقمه: ٣٢٧٠؛ أبواب التفسير، باب سورة الحجرات، بلفظ: ﴿عُبَيَّةَ﴾، وقال: حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار إلا من هذا الوجه، واللفظ له. وعبد الله بن جعفر ضعفه يحيى بن معين وغيره. وأحمد في مسنده ١٤/٣٤٩، رقمه: ٨٧٣٦، وحسن إسناده المحققون. والعبية: النخوة والكبر والفخر (تحفة الأحوذي ٤/١٨٦).

(٢) التويجري: الحوار من أجل التعايش/٢١.

والمجادلة بالتي هي أحسن؛ لأنه ﷺ أُرسل رحمة للعالمين، قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) "[١].

وإذا كان صمويل هنتنجتون[٢] قد بشر بصراع الحضارات، فإن الإسلام بدعوته إلى الحوار قد دعا إلى تعارف الحضارات، لا إلى صراعها. قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ (الحجرات: من الآية ١٣). وجعل الناس يتفاضلون بمدى نفعهم للغير [أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس][٣].

وحرصاً على تحقيق هذا المقصد يرفض الإسلام انسحاب المسلم من المشاركة في الحياة العامة، فلا رهبانية في الإسلام، و[المسلم إذا كان مخالطاً الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم][٤].

---

(١) الصالح، صبحي: الإسلام ومستقبل الحضارة/ ٢٢٥.

(٢) باحث سياسي أمريكي، صاحب كتاب: "صدام الحضارات"، وهو أستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية. له عدة مؤلفات حول السياسة الأمريكية، والإستراتجية وسياسة التنمية. توفي سنة ٢٠٠٨م...

انظر: http://www.moheet.Ácom/show_news.aspx?nid=205556&pg=44

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٢/ ١٠٦: باب الميم من اسمه محمد، رقم ٨٦٢.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ٣/ ٣٨٥، رقمه: ٢٥٠٧؛ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه.

المطلب الثالث
مقصد التعاون

بالتعارف يتحقق التواصل بين الشعوب، مما يثمر التعاون فيما بينهم. والتعاون مقصد من مقاصد الحوار، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ (المائدة: من الآية ٢)، وقال الرسول ﷺ: [والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه][(١)]. وإن دعوة الإسلام التعاونية لا تنحصر في نطاق الأمة التي كونها، ورسم لها طريقها، وحدد لها منهاجها، وسماها أمة وسطاً، بل هي على نحو من السعة والشمول بحيث يسع "الحياة الإنسانية" بأكملها، دون تخصيص جانب على جانب، ولا طرف على طرف؛ مما كان له الأثر الجيد في "التواصل الحضاري بين الشعوب" الذي دعا الله إليه، وأوضحه المقصدُ من إرسال الرسول ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) ولا يتم مفهوم الرحمة على نحو من "العالمية" إلا بتحقيق التعاون الإنساني بمفهومه الشامل، وهذا ما أكده الرسول ﷺ في قوله: [الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء][(٢)]؛ ولذا نهى الله عن الترف؛ لما فيه من إخلال بتقدير القيم الإنسانية المُثلى، فما من ترف إلا فيه حق مضيع.

ولا شك أن الحوار مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن يعكس جملة من النتائج منها:

١ - "تيسير العمل، وتوفير المصالح.

٢ - إظهار الاتحاد والتناصر"[(٣)].

٣ - التعاون الفكري بتبادل الخبرات.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١٨/٦: باب من اسمه محمد، رقم ٥٦٦٥.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ٧٥/٣، رقمه: ١٩٢٤؛ باب ما جاء في رحمة المسلمين، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ٨٧/٦/٣ و٨٨.

٤ – التعاون المادي بالتكافل الاجتماعي.

٥ – التشاور والتكامل الحضاري والتدافع المعرفي، "فقد أثبتت الدراسات السيكواجتماعية ومدرسة جنيف التي تتعلق بالبناء الاجتماعي للذكاء أن القدرات العقلية للفرد لا يمكنها أن تتطور إلا مع الآخر المختلف، أي في ظل الصراعات المعرفية، التي تشكل المجال الأفضل للتطور الذهني والمعرفي"(١).

القيم والمفاهيم التي يتم التعاون من خلالها:

الإسلام ينظر للإنسان بصفته فرداً مستقلاً، وبصفته فرداً وسط منظومة من حيث هو عضو في أمة متماسكة كل يؤدي مَهمَّتهه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾ (سورة المائدة: من الآية ٢) حتى لا تكون الأمة مجرد رابطة جنسية أو عرقية، و"إنما هي أمة "متعاونة" بفضل إيمان أعضائها المنتمين إليها، والمكونين لها إيماناً عميقاً نابعاً من أحاسيسهم المشتركة بأن أمتهم واحدة لها شخصيتها، وخصائصها، وأصالتها التي بها تنفرد عن سائر الأمم في القديم والحديث"(٢).

ولتسهم هذه الأمة بدورها – بما رسخه الإسلام في نفوس أفرادها من إرادة العيش المشترك – في التعاون مع بقية الأمم؛ لصنع حضارة إنسانية تؤدي رسالتها في تحقيق العدل بين البشر أجمعين ونشر السلام بين العالمين.

وهكذا بتقبل الطرف الآخر والتحاور معه يمكن التوصل إلى التعاون على جملة من الأمور، منها:

١ – التعاون على حماية العدالة الاجتماعية، وتعزيز القيم الإنسانية، وكفالة الحرية للناس جميعاً، لا سيما وأن الأديان السماوية عموماً تدعو إلى مثل هذه القيم.

---

(١) الغربي، إقبال: دور الاختلاف في إثراء الفكر (مقارنة نفسية). انظر موقع: http://www.sesco.org.ma/pub/arabic/adabeikhtilaf/page12.htm

(٢) الصالح، صبحي: الإسلام ومستقبل الحضارة/٣١٣.

٢ – التعاون على مواجهة الأخطار التي تحيق بالبشرية من حروب، وتلوث بيئي، ومخدرات، وغيرها...

٣ – درء الخطر المشترك، وذلك بمحاربة الشهوات الجامحة، والإباحية العفنة، والمادية المستحكمة، يُروج لها تحت أسماء كاذبة مثل النظام والحرية. ولا يخفى ما تجره من ويلات ودمار، قال ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (الأنفال: ٢٥).

٤ – التعاون على عمارة الأرض وفق إرادة الله (عند المسلمين، ووفق القيم الإنسانية عند غير المسلمين تحقيقاً لاستخلاف الإنسان في الأرض، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ (سورة البقرة: من الآية ٣٠) وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ (يونس: ١٤)، وذلك بما يأتي:

- بما يحقق الكرامة الإنسانية، قال عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ (الإسراء: ٧٠).
- وبما يقيم العدل في الأرض بين الناس جميعاً بدون استثناء.
- وبما يؤكد التعارف بين الناس؛ مما يحقق الأمن والأمان، والتعايش في سلم وسلام.
- وبما يدعو إلى التواصل بين الحضارات في جوانبها المادية والإبداعية.

وبما يدعو إلى تنسيق الجهود والعمل الجماعي لعمارة الأرض، وتحقيق النهضة الحضارية.

فمثل هذه المفاهيم والقيم تُعَدُّ قواعد مشتركة بين الناس أجمعين، تحقق كرامة الإنسان، ومصلحته وأمنه بقطع النظر عن جنسه ولونه ودينه. يقول أحد المسيحيين: "إنما الحماية المسيحية في البلاد العربية هي اتجاه المسيحيين

للتلاحم والتفاهم مع المسلمين في هذه البلاد؛ ليتابعوا سوياً المسيرة التاريخية الرائعة في التآخي الإنساني، والتعايش السلمي الذي سجله المسلمون والمسيحيون في هذه البلاد عبر العصور التاريخية المتوالية"[(١)].

وهكذا بالكلمة الطيبة والدعوة الحسنة يحقق الحوار هدفه المنشود من تعارف وتعاون، وارتقاء بفكر الإنسان وعقله تجاه أخيه الإنسان، وتجاه حقائق هذا الكون سعياً لتحقيق أكبر قدر ممكن من المصالح للبشرية قاطبة وتكميلها، ودرء المفاسد عنها وتقليلها.

---

(١) عجك، بسام داود: الحوار في الكتاب والسنة/١٨ و١٩ (نقلا عن: سحاب، فيكتور: من يحمي المسلمين العرب).

المطلب الرابع
مقصد التعايش السلمي بين الناس

هذا المقصد يرسمه لنا قول الله عز وجل: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨)، فحالة العداء الدائم لا تكون إلا للشيطان، أما لغيره من بني آدم فهي حالة متحركة إذ العدو قد يسلم، فتتحول معاداته إلى محبة ومودة. وأن يحيى الإنسان في سلم وأمان من النعم الكبرى، قال الله (ممتنا على عباده بنعمة الأمن: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ (قريش: ٣-٤)، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ (سبأ: ١٨)، ذكر ابن عاشور أن هذه الآية تشعر بنعمة الأمن وتيسير الأسفار وعمران البلاد[(١)]. وما تأمينُ الطرق وتيسير المواصلات وتقريب البلدان إلا لتيسير تبادل المنافع واجتلاب الرزق من هنا وهناك، وهذا يعد نعمة إلهية ومقصداً شرعياً يمنُّ الله به على من يشاء من عباده.

والحوار – بلا شك – يساعد على أن يحيا الناس في سلم وسلام قائمين على احترام متبادل، يؤسس للاعتراف بالاختلاف، ويفسح المجال لمختلف الآراء، إذ أن مصادرة آراء الآخرين وغلق الأبواب في وجوه المخالفين يجعل جذور الاختلاف ممتدة في الأعماق، يصعب بعدها الالتقاء والاتفاق. وإن كان في الاختلاف حكمة من حِكَم الباري من خلق الخلق، قال عز وجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٨-١١٩)، فالحوار يخفف من الفتن الطائفية التي إن اشتعلت مزقت كيان الأمة، لا سيما وأن بعض الجهات الخارجية تستغل مثل هذه الاختلافات لزرع

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير ٩/٢٢/١٧٤.

بذور الفتنة والشقاق والتناحر بين أبناء الوطن الواحد ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (التوبة: من الآية ٤٧).

و"الناس صنفان، كما قال علي بن أبي طالب (: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق"[١]. وذكر الرازي في تفسير قوله عز وجل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ (البقرة: من الآية ٢٥٦) "بأنه تعالى لما بيّن دلائل التوحيد بياناً شافياً قاطعاً للعذر قال بعد ذلك إنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه، وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء، إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان"[٢]، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ (الكهف: من الآية ٢٩)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩)، وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ (سورة الكافرون: ٦)، فمثل هذه الآيات تؤسس للاعتراف بالآخر، وتَقَبُّلِه على ما هو عليه، وإن كان هذا لا يعني الإقرار على الكفر. كما تسهم في بناء أسس مشتركة للتعايش السلمي ونبذ العنف، وتدعونا إلى ترويض النفس وحملها على احترام الرأي المخالف؛ سعياً للوصول إلى الحق، وعدم التردد في التراجع عن الرأي إذا تبين خطؤه وصحةُ رأي الآخر.

والقول بأن آية السيف، وهي: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ﴾ (البقرة: ١٩٣) نَسَخَت الآيات السابقة وأمثالها، أو ما قاله بابا الفاتيكان بينيديكوتس السادس عشر من أن آية: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ﴾ (البقرة: ٢٥٦) وردت في الفترة الأولى، يقصد في مكة، حينما لم يكن محمد يملك أية سلطة، بل وكان عرضة للتهديد، جاء ذلك في قوله: "قل لي: ما هو الجديد الذي أتى به محمد؟ إنك لن تجد سوى أشياء شريرة ولا إنسانية، مثل الأمر بنشر الإيمان

(١) المدائني، عز الدين: شرح نهج البلاغة ١٨/١٧.
(٢) الرازي: التفسير الكبير ١٣/٧.

الذي بشر به بحد السيف"[١]. وفي هذا بعد عن الحقيقة والموضوعية؛ ذلك بأن معظم آيات الأحكام المكية كليات، والكليات غالباً لا يتطرق إليها النسخ. ويقرر الشاطبي أن المنزل بمكة من أحكام الشريعة هو ما كان من الأحكام الكلية والقواعد الأصولية في الدين على غالب الأمر، وأن النسخ فيها قليل لا كثير؛ لأن النسخ لا يكون في الكليات وقوعاً وإن أمكن عقلاً. ويدل على ذلك الاستقراء التام... ومن استقرى كتب الناسخ والمنسوخ تحقق هذا المعنى، فإنما يكون النسخ في الجزئيات منها، والجزئيات المكية قليلة[٢]. ومما يؤكد هذا أن مصطلح "دار الإسلام" و"دار الحرب" جاء متأخراً، وأحسب أن هذا التقسيم متحرك أملاه الواقع. ويرى ابن تيمية بطلان قول من ظن أن الأمر بالجهاد ناسخ للأمر بالمجادلة مطلقاً[٣].

والنصوص الشرعية الحاثة على التعايش السلمي بين الناس كثيرة، منها: قول الله عز وجل: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨)، والعمومات الواردة في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠). وقول الرسول ﷺ: [المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هاجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه][٤]. وما جاء من نصوص في مجال المعاملات والعلاقات الاجتماعية التي تبيح لنا التعامل مع غير المسلمين وزيارتهم وتبادل الهدايا معهم؛ فقد [أهدى المقوقس صاحب الإسكندرية إلى

(١) الجابري، محمد عابد: تفكيك الأصول وتصحيح الفصول، موقع:
http://www.aljabriabed.net/pape1.htm

(٢) الشاطبي، إبراهيم: الموافقات ٣/٣٣٨ و٣٣٩.

(٣) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/٧٢.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢/٢٦٤: كتاب البر والإحسان، باب الجار. والحاكم في المستدرك ١/٥٥، رقم: ٢٥، وقال: الزيادة صحيحة سليمة من رواية المجروحين في متن هذا الحديث، ولم يخرجاها.

رسول الله ﷺ مارية بنت شمعون، فتزوجها][1]، و[توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي][2]، وروي "أن عبد الله بن عمرو ذُبِحت له شاة، في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: [ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه]"[3].

ومما يؤكد هذا من السيرة النبوية: ما جرى من حوار بين الرسول ﷺ وقومه في الحديبية، وما أثمره من صلح كان فتحاً للمسلمين، وسبباً من أسباب انتشار هذا الدين في الجزيرة العربية بسرعة لم تكن لو انعدم الحوار واستبد القتال.

وها هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرسم لنا جملة من الوصايا كتبها إلى قائد جيشه في العراق، يدعوه فيها إلى حسن معاملة العدو المهزوم؛ ومما جاء فيها: **(إني قد ألقي في روعي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتموه، فاطرحوا الشك، وآثروا التقية عليه. فمتى لاعب أحد منكم أحدا من العجم بأمان أو بإشارة أو بلسان، كأن لا يدري الأعجمي ما كلمه به، وكان عنده أماناً، فأجروا ذلك مجرى الأمان، وإياكم والضحك. الوفاء الوفاء، فإن الخطأ بالوفاء بقية، وإن الخطأ بالغدر هلكة، وفيها وهْنُكم وقوةُ عدوكم، وذهابُ ريحكم، وإقبالُ ريحهم)**[4].

ومن نماذج التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم: ما نجده من تصريحات المنصفين من غير المسلمين بإنصاف الإسلام وأهله، فهذا (تشارلز وليم ماينز)[5] يقول: "لو نظرنا إلى حالات العنف التي شملت البعد الإسلامي

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ٥/ ٤٩، رقمه: ٦٩٠١؛ كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب ذكر وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/١٠٦٨، رقمه: ٢٧٥٩؛ كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ٣/ ٨٤، رقمه:١٩٤٣؛ كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٣٠٣، وتاريخ الطبري ٢\٣٨٧.

(٥) محلل السياسة الخارجية الأمريكية، وصاحب الرأي المؤثر على ساحة السياسة، له عدة مؤلفات. انظر: http://www.mondiploar.com/article1508.html?PHPSESSID= 1cde5060f85c15835a1ab6b4bcd8a4a3

مؤخرا في البوسنة والعراق والقوقاز، لوجدنا أن العنصر غير المسلم هو الذي يعتدي على العنصر المسلم، ويغذي – بالتالي – دائرة العنف"[١]. وينتقد (اسبيزيتو)[٢] الغرب في حملته على الإسلام والمسلمين، بما في ذلك (هنتنجتون)[٣] في فهمه المتحجر لمعنى الحضارات، ووصف مناقشاته بأنها استفزازية... وسرد بعض مظاهر الحضارة الإسلامية واصفاً المسلمين بأنهم يحسنون التعلم كما يحسنون الفعل. وأشار إلى أن غير المسلمين عاشوا تحت حكم الإسلام في وضع أفضل من عيشهم تحت الحكم الأجنبي السابق لهم[٤]. وكتب (ريتشارد فلتشر)[٥] عن العلاقة بين المسيحية والإسلام بموضوعية وإنصاف. وذكر أن الطوائف الكنسية المختلفة ازدهرت تحت الحكم الإسلامي على نحو لم يحدث من قبل[٦].

(١) جريدة العرب اليوم بتاريخ ١٤ مارس ١٩٩٨.

(٢) جون أل. إسبيزيتو: أستاذ علم الأديان والعلاقات الدولية بجامعة جورج تاون الأمريكية، له عدة مؤلفات تغطي شؤون الإسلام والمسلمين من عدة زوايا. انظر: http://www.daralhayat.com/opinion/02-2008/Item-20080212-0ed7a62f-c0a8-10ed-01ddÙ6f8212f3f5a7/story.html

(٣) سبق التعريف به في المطلب الثاني.

(٤) يراجع ما ذكره جون ل اسبوزيتو في: التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة، ترجمة قاسم عبده قاسم.

(٥) أستاذ بجامعة يورك البريطانية، ومؤرخ منصف، توفي سنة ٢٠٠٥م، له العديد من المؤلفات. انظر:

http://www.elakhbar.org.eg/issues/16571/1302.html

(٦) يراجع كتاب ريشارد فلتشر في كتابه: الصليب والهلال: المسيحية والإسلام من عهد محمد إلى عصر الإصلاح الديني عام ٢٠٠٣.

المطلب الخامس

وسائل تحقيق مقاصد الحوار

حتى يؤتي الحوار ثماره، ويحقق المقاصد المرجوة منه لا بد أن ينضبط بجملة من الشروط، منها: الموضوعية، والمجادلة بالتي هي أحسن، والتواضع، والعلم، وإنصاف الذين تحاورهم...

أولا – الموضوعية:

تتلخص الموضوعية في الحوار في جملة من الأمور، نوجزها في الآتي:

١ – الإتيان بالدليل الساطع والبرهان الناصع، الذي يقنع العقول السليمة والقلوب الطاهرة التي تبحث عن الحق، وتقذف به الباطل فتزهقه.

٢ – اجتناب الهوى والانتصار للذات.

٣ – عدم الخروج عن موضوع الحوار، والتركيز على محل الخلاف، رائدنا في ذلك ما جاء في القرآن من ردود على دعاوى الكفار، فإنا نجد الرد حاسماً، والقول فصلاً، والجواب شافياً كافياً مقتصراً على محل الخلاف وهادماً لدعاوى المبطلين. مثال ذلك ما جاء في الحوار الدائر بين نبي الله هود عليه السلام وقومه، يقول الله عز وجل: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ

رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٦٦-٧٢). وكذلك الشأن في قصة نوح (مع قومه، وفيها يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٥٩-٦٢).

٤ - جدية الحوار؛ فهي تساعد على جعل المتحاورين أكثر قدرة على التفاهم فيما بينهم، والوصول إلى نتائج سليمة. ولا ينبغي أن تكون هذه الحوارات مجرد اجتماعات تتبادل فيها عبارات المجاملة فقط، بل تطرح فيها القضايا المهمة التي تخدم الصالح العام، والجوانب المعيشية، وتقود البشرية إلى بر السلام، وترتقي بها مادياً ومعنوياً؛ مثل: مناقشة استتباب الأمن واحترام الشعوب، والقضاء على الفقر. وقد رفض بعض الغيورين الحوار مع الغرب معللاً رفضه بأن مقصد الغرب من الحوار هو التنصير والتبشير بالمسيحية، وأنهم يعتبرونه طعماً لاستدراج المسلمين للخروج عن دينهم(١).

٥ - ألا يكون موضوع الحوار منصباً على قضايا جدلية عقيمة، لا ترجى منها فائدة، أو تحاول أن تنال من ثوابتنا الدينية، أو تنتقص منها، بحجة الانفتاح والمدنية وتطور الأزمنة، خاصة فيما يتعلق بالإسلام: عقيدة وشريعة، ونظام حكم، وحدود، ونظام أسرة...

---

(١) عجك، بسام داود: الحوار الإسلامي المسيحي/٣٩٣. والسيوطي، خالد: الحوار بين الديانات الثلاث /٢٥.

ثانياً - التجرد لله والرغبة في الوصول إلى الحق:

نعني بالتجرد لله: إخلاص النية، يقول الخطيب البغدادي: "ويخلص النية في جداله، بأن يبتغي وجه الله تعالى، وليكن قصده في نظره: إيضاح الحق وتثبيته دون المغالبة للخصم"(١). يقول الإمام الشافعي: "ما ناظرت أحداً - قط- فأحببت أن يخطئ"(٢). وكان يقول: "ما كلمت أحداً قط إلا ولم أُبال بُيّن الحق على لساني أو لسانه"(٣).

فعلى المُحاوِر إنْ أَنِس في نفسه شيئاً من الرياء وبعدا عن المقصد الصحيح أن يترك الحوار، ويجاهد نفسه حتى تستقيم وجهتها لله.

أما غير المسلم فلا بد أن توجد لديه الرغبة في الوصول إلى الحق، وفي ذلك يقول الكاتب "كارل روجر": "إذا توافرت الرغبة لدى شخصين للتبادل، وأن كليهما لديه الرغبة في الاستعلام ومساعدة الآخر، وأن المناقشة استمرت وقتاً كافياً بدون تداخلات فإنه بقدر ما توافرت درجة التوافق لدى أحدهما، بقدر ما يكون هناك اتجاه نحو الطرف الآخر لتوليد ظروف المعالجة، وبالتالي توليد التوافق النفسي، وهذا يعني فرصة نجاح المناقشة"(٤).

وحتى ينجح الحوار ينبغي أن يتحرر من عبودية الأهواء والشهوات، ويبتعد عن كل لون من ألوان التعصب؛ فمن انتصر لرأي باطل، وسخر له فكره ولسانه وقلمه، كان كمن أهدر فكره وإيمانه، وأصبح عبداً تابعاً لغيره لا ينتصر للحق. وهذا ما حذر منه أصحاب رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام أبو الحسن رزين - رحمه الله - عن حذيفة وابن مسعود رضي الله عنهما أنهما قالا: (لا يكن أحدكم إمَّعة يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا

---

(١) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ٢/ ٥.
(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٥/ ٤٩٨.
(٣) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ٢/ ٥٠. والبيهقي: المدخل إلى السنن الكبرى ١/ ١٧٢.
(٤) نقلا عن سليم، محمد حامد في بحثه المرفق في كتاب: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية/ ٩٠.

أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا لا تظلموا﴾[(١)]. وذكر ابن حزم في آداب حضور مجلس العلم قال: "إذا حضرت مجلس علم، فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد علماً وأجراً، لا حضور مستغن بما عندك، طالباً عثرة تشيعها، أو غريبة تشنعها، فهذه أفعال الأرذال الذين لا يفلحون في العلم أبداً. فإذا حضرتها على هذه النية فقد حصلت خيراً على كل حال. وإن لم تحضرها على هذه النية فجلوسك في منزلك أروح لبدنك، وأكرم لخُلُقِك، وأسلم لدينك"[(٢)].

ثالثا – المحاورة بالتي هي أحسن:

سعياً وراء تحقيق مقاصد الحوار ينبغي أن يكون الحوار قائماً على المحاسنة، لا على المخاشنة، ولا أدل على ذلك من:

– قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (العنكبوت: من الآية ٤٦). ولا شك أن محاورة أهل الكتاب بالتي هي أحسن تثمر نتائج طيبة في التبادل الفكري، والتفاعل الاجتماعي والحضاري والإنساني.

– وقوله عز وجل: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل: ١٢٥) فهذه الآية أعم من الأولى في المحاورة، فهي تنظر إلى الإنسان – من حيث هو إنسان – نظرة التقدير والاحترام حتى ولو كان مشركاً، أو وثنياً. ولعل ما ورد من ذكر أهل الكتاب في الآية السابقة إنما هو من باب التخصيص لأهل الكتاب وأتباع الأنبياء –عليهم السلام– بالتحلي بأفضل آداب الجدال وأحسنها عند كل لقاء معهم وحوار، بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له ولا تقبيح، حتى يطمئن إلى (المُحاوِر) ويشعر أن هدفه هو الإقناع والوصول إلى الحق، وليس الغلبة في الجدل[(٣)].

---

(١) الحاكم: المدخل إلى الصحيح ٢/١٤٣.
(٢) ابن حزم: الأخلاق والسير في مداواة النفوس ١/٩٢.
(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن ٤/٢٢٠٢ بتصرف.

- وقوله عز وجل: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء: ٥٣) "يقولوا التي هي أحسن على وجه الإطلاق وفي كل مجال، فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه..."(١).

- وقوله عز وجل: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه: ٤٤)، "فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم، ولا يهيج الكبرياء الزائف، ومن شأنه: أن يوقظ القلب فيتذكر، ويخشى عاقبة الطغيان"(٢). ومن مستلزمات القول اللين: تَجَنُّب السباب الذي من شأنه أن يورث الحقد ويوغر الصدر؛ فيفرق ولا يؤلف. ولو شتمه من يحاوره فليدفع بالتي هي أحسن؛ امتثالاً لقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤). وفي هذا يقول الخطيب البغدادي: "ويكون كلامه يسيراً جامعاً بليغاً، فإن التحفظ من الزلل مع الإقلال دون الإكثار. وفي الإكثار: ما يخفي الفائدة، ويضيع المقصود، ويورث الحاضرين الملل"(٣). ولفظ "الحوار" ذاته - كما مر معنا في تعريفه - يوحي برزانة الكلام ومنطقيته، بعيداً عن التخاصم بقدر ما يعني المراجعة الكلامية، وهذا من شأنه أن يرقق القلوب، ويقوي الهمم لاتباع الحق، قال الرسول ﷺ: [ما كان الرفق في شيء قط إلا زانه، ولا عزل من شيء إلا شانه](٤).

رابعا - التواضع في الحوار:

التواضع والاحترام المتبادل بين المتحاورين من أهم الوسائل لتحقيق مقاصد الحوار، فلا يحقق الحوار مقاصده، ولا يؤتي ثماره إلا إذا تواضع المتحاورون لبعضهم تواضعاً فكرياً ومادياً، فتخلى كل طرف عن الاعتقاد بأنه

---

(١) المرجع السابق ٤/ ٢٢٣٤.
(٢) المرجع السابق ٤/ ٢٣٣٦.
(٣) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ٢/ ٢٨.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٤٢/ ٤٦٧، رقمه: ٢٥٧٠٩، قال المحققون: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الطرف الأقوى، وأنه مصدر المعرفة والسعادة دون غيره من الناس، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ (النجم: ٣٢)، ولا يُقبل أن يكون أحد الطرفين مستعلياً، والآخر مستعطفاً له، إذ العقبة الكؤود التي تعترض الحوار هي: عقدة الاستعلاء والغرور التي تحكم بعض الأطراف، وإرادتهم الهيمنة والاستغلال. وقد راعى القرآن الكريم جانب التواضع، فاستعمل أسلوباً دالا على أن الآخر قد يكون أفضل من صاحبه الذي يحاوره على حد زعم هذا الآخر، جاء ذلك في قول الله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ (سبأ: ٢٥) قال ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "إن كل فريق مؤاخذ وحده بعمله، فالأجدى بكلا الفريقين أن ينظر كلٌّ في أعماله وأعمال ضده؛ ليعلم أي الفريقين أحق بالفوز والنجاة عند الله... وأن كل فريق له خصوصيته"[(١)]. و"إسناد الإجرام إلى جانب المتكلم ومن معه مبني على زعم المخاطبين، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ (المطففين: ٣٢) كان المشركون يؤنبون المؤمنين بأنهم خاطئون في تجنب عبادة أصنام قومهم... وهذا ضرب من المشاركة والموادعة ليخلوا بأنفسهم فينظروا في أمرهم، ولا يلهيهم جدال المؤمنين عن استعراض ومحاسبة أنفسهم، وأسندوا العمل على إطلاقه في جانب المخاطبين؛ لأن النظر والتدبر بعد ذلك يكشف عن كنه كلا العملين"[(٢)]، وفي مثل هذا الأسلوب زيادة إنصاف إذ أسند المخاطب الإجرام إلى نفسه.

وضرب الله لنا مثلاً لهذا التواضع في قصة موسى (مع فرعون حين قال له فيما حكاه الله لنا في قوله: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٨-١٩)، فأجابه موسى بكل تواضع وبأسلوب مهذب: ﴿قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢١ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ (الشعراء: ٢٠-٢٢).

---

(١) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ٩/١٢/١٩٤.
(٢) المرجع السابق ٩/٢٢/١٩٤.

وانظر إلى نبي الله شعيب عليه السلام كيف خاطب قومه بكل أدب وتواضع، وبدون استعلاء أو غرور: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨). وذلك شأن الأنبياء جميعاً عليهم السلام، فقد قال الله على لسان رسوله ﷺ ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ (سبأ: ٢٤) فهذه الآية تفتح أبواب الحوار مع المسلمين وغيرهم على مصراعيه، دون أن يعني ذلك أن القرآن قد اعترف بأن ما عند غير المسلم هو حق، أو أن دينهم مساو للدين الإسلامي[١]. وإن كان في سياق الآية "إيقاع للخصم في شرك المغلوبية، وذلك بترديد حالتي الفريقين بين حالة هدى وحالة ضلال؛ لأن حالة كل فريق لما كانت على الضد من حال الفريق الآخر بين موافقة الحق وعدمها، تعيَّن أن أمر الضلال والهدى دائر بين الحالتين لا يعدونهما... وهذا الكلام يسمى: الكلام المنصف، وهو أن لا يترك المجادل لخصمه موجب تغيظ واحتداد في الجدال، ويسمى في علم المناظرة: إرخاء العنان للمناظر"[٢]. وها هو النبي ﷺ يستقبل وفد نجران في مسجده الشريف ويحاورهم "لما قدموا عليه بعد صلاة العصر، وحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال الرسول ﷺ: [دعوهم] فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم"[٣]. وهذا ما ينبغي أن يلتزمه كل داعية إلى الله، ومصلح يريد الخير لأمته وللبشرية بأسرها، ذلك بأن الحوار الذي مبعثه الغرور والتعالي لا يثمر، ولا يحقق مقاصده، ولا يؤدي إلا إلى مزيد من التباعد والنفور بين الأطراف المتحاورة. وخير طريق مع هؤلاء المكابرين الإعراض عنهم والصفح الجميل، قال تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ

(١) عجك، بسام داود: الحوار الإسلامي المسيحي، المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف/ ٤٢٤.
(٢) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ٩/٢٢/١٩٢.
(٣) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد ٣/ ٥٠٥ و٥٠٦. والذهبي: تاريخ الإسلام ٢/ ٦٩٥.

عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء: ٨١)، وقال: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: ٨٩) فإذا حاوروكم بالسوء فقابلوهم بالسلام والصفح، قال الله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ (الفرقان: ٦٣). قال ابن عاشور: "يجوز أن يكون قوله: (سَلَٰمًا) مصدراً بمعنى السلامة، أي لا خير بيننا وبينكم ولا شر فنحن مسلمون منكم"[(١)]. وقد يكون الرد عليهم أحياناً بدحض شبهاتهم مثل ما جاء في الرد على المنافقين حين قالوا: لو أن إخوانهم لم يخرجوا إلى القتال لما ماتوا، قال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٨)، فالقعود عن الجهاد لا يطيل الحياة، كما أن الخروج إلى ساحات القتال لا ينقص شيئاً من الآجال، فكم من مجاهد عاد من جهاده سالما، وكم من قاعد أتاه الموت وهو على فراشه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٥٦).

وقد ضرب لنا علماؤنا أروع الأمثلة في التواضع في الحوار، فقد نسب إلى الإمام النسفي الحنفي في "المصفى" أنه يجب علينا إذا سئلنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا في الفروع أن نجيب بأن مذهبنا صواب يحتمل الخطأ، ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب، أي بناءً على أن المصيب في الفروع واحد وغيره مخطئ مأجور[(٢)]، ومن كلام ابن عبد البر عن أصحاب رسول الله ﷺ: "جائز ما قلت أنت، وجائز ما قلت أنا"[(٣)].

---

(١) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ٨/١٩/٦٩ وهذا ما ذكره الرازي من قبل في تفسيره ١٢/١٠٨.

(٢) ابن حجر الهيثمي: الفتاوى الفقهية الكبرى ٤/٣١٣. والجرجاني: التعريفات/١٣٥. والكفوي: الكليات ١/ ٨٦٨ ولم ينسبه لأحد.

(٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/٨٧ و٨٨.

ومما يساعد على التواضع للغير: الإيمان بمطلق الكرامة الإنسانية، فالذي تحاوره هو إنسان مثلك، والله يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ (الإسراء: ٧٠). و"من التكريم أن يكون الإنسان قيما على نفسه محتملاً تبعة اتجاهه وعمله. فهذه هي الصفة الأولى التي بها كان الإنسان إنسانا؛ حرية الاتجاه وفردية التبعية، وبها استخلف في دار العمل. فمن العدل أن يلقى جزاء اتجاهه وثمرة عمله في دار الحساب"[(١)].

خامسا – الأسلوب الحسن:

لا يحقق الحوار مقاصده، ولا يؤتي ثماره إلا إذا التزم المتحاورون الأسلوب المهذب الخالي من كل ما يعيق التقدم في الحوار والوصول به إلى نتائج طيبة، فتُتَجَنب عبارات السخرية، قال الله عز وجل: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء: ٥٣)، ويحترم الإنسان كإنسان، وإن كان مخالفا لك في الرأي، وينظر إليه نظرة تقدير وإكرام؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء: من الآية ٧٠)، ويُحترم حقه في الاختلاف، ويُقبل كما هو، وهذا لا يعني الإقرار بأن ما عنده هو الحق، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٦). ومثل هذا – ولا شك – يثمر تبادلاً فكرياً، وتفاعلاً اجتماعياً وحضارياً وإنسانياً، يرتقي بالإنسان، ويضمن له العيش في سلام وأمن وأمان، ولذا يقال: "الحقائق مرة، فتخيروا لها أحسن الألفاظ".

ومن الأسلوب الحسن:

١ – إفساح المجال للمحاور حتى يُنهي حديثه، وهذا من الأدب النبوي، فقد كان رسول الله ﷺ لا يقاطع محدثه، ولا يبدأ في الكلام إلا إذا فرغ

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن ٤/٢٢٤١.

محدثه من حديثه، مثل ما جاء في حواره مع عتبة لما عرض عليه المال والنساء ليترك الدعوة إلى الله[(١)].

٢ - تجنب الجدل العقيم، "فإن الله إذا أراد الله بقوم شراً ألقى بينهم الجدل وخزن العلم"[(٢)]. وقد حذر النبي ﷺ من ذلك في قوله: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل. ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف: من الآية ٥٨)[(٣)]. والمراد بالجدل هنا: الجدل المذموم، وهو الخصام بالباطل، وهو اللدد في الخصومة، قال الرسول ﷺ: [إن أبغض الرجال إلى الله الألَد الخَصِم][(٤)]. قال النووي: "و(الألد): شديد الخصومة، مأخوذ من لديدي الوادي، وهما جانباه، لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر. وأما (الخصم) فهو: الحاذق بالخصومة. والمذموم هو الخصومة بالباطل في رفع حق، أو إثبات باطل"[(٥)].

والجدل المذموم نوعان: أحدهما: الجدل بغير حجة. والثاني: الجدل بالشغب والتمويه نصرة للباطل بعد ظهور الحق وبيانه، قال الله تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (غافر: من الآية ٥). وقد يتحول هذا الجدل إلى مكابرة إذا علم بفساد كلامه وصحة كلام خصمه فنازعه فيه. أما إذا نازعه مع عدم علمه بكلامه وكلام صاحبه فهي

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٣/٣٥٠. وابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/٢٩٥ ـ ٢٩٧. وابن حبان في الثقات ١/٧١. والحاكم في المستدرك ٢/٦٣٨، رقمه: ٣٠٥٦، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وحسن الألباني إسناده (ينظر فقه السيرة للغزالي/١٠٨ بالحاشية).

(٢) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ١/٢٣١.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/٢٢٣، رقمه ٣٢٥٣؛ كتاب تفسير القرآن عن رسول الله (، باب: ومن سورة الزخرف. وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٨٦٧، رقمه: ٢٣٢٥ كتاب المظالم، باب قول الله: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (البقرة: ٢٠٤). ومسلم في صحيحه ٤/٢٠٥٤، رقمه: ٢٦٦٨؛ كتاب العلم، باب في الألد الخصم.

(٥) النووي: شرح صحيح مسلم ١٦/٢١٩.

المعاندة[1]. يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥): "ومن الإعجاز العلمي في القرآن أن هذه الآية جمعت أصول الاستدلال العقلي الحق، وهي البرهان والخطابة والجدل المعبر عنها في علم المنطق بالصناعات، وهي المقبولة من الصناعات. وأما السفسطة والشعر فيبرأ عنهما الحكماء الصادقون بله الأنبياء والمرسلون "[2].

سادسا – العلم:

قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ (الإسراء: ٣٦)، هذه الآية أساس في المنهج العلمي في الحوار وطلب الإثبات في أية مسألة يدور حولها الحوار، فليس للمسلم أن يقول قولا بلا دليل، ولا أن يقبل قولا بلا دليل، ولا أن يحاور بناء على الظنون الضعيفة، وقد جاء النهي عن ذلك صريحا في قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ (الحجرات: من الآية ١٢)، وقال الرسول ﷺ: ﴿إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث﴾[3]. والعلم يشكل مرجعية للمتحاورين، ولا يمكن أن تتحقق مقاصد الحوار إلا بالعلم بالمسألة التي يدور حولها الحوار. وأن يكون المتحاور قادراً على النظر والموازنة، يقول ابن تيمية: "والعجب من قوم أرادوا نصر الشرع بعقولهم الناقصة وأقيستهم الفاسدة، فكان مما فعلوه: ما جَرَّأ الملحدين أعداء الدين عليه، فلا الإسلام نصروا، ولا الأعداء كسروا"[4]. قال الشاعر:

وكم من عائب قولا صحيحاً   وآفته في الفهم السقيم

---

(١) الكفوي: الكليات/ ٨٤٩.

(٢) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ٦/ ١٤/ ٣٣١.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه ٥/١٩٧٦، رقمه: ٤٨٤٩؛ كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك.

(٤) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٩/٢٥٣.

ولقد أصاب مالك بن نبي حين نبَّه إلى ضرورة العلم حين أشار إلى أن الأرض لا تستطيع أن ترتوي من ماء يأتي من أسفلها وذلك بحكم السنن الإلهية عن طريق الجاذبية(١). والجهل يقلل من قدرة المحاور على إدارة الحوار وتوجيهه لصالحه.

سابعا – الفهم:

الفهم الصحيح لما يقال من أعظم نعم الله على العبد، وبه يتفاضل البشر وبه يختلفون، وقد اقتضت سنة الله في خلقه اختلاف فهوم الناس ومداركهم، وما ذلك إلا لاختلاف عقولهم، ولو صيغت عقول البشر في عقل واحد لأدى ذلك إلى إزالة الحكمة من الخلق، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٨-١١٩)، ولأدى ذلك إلى عدم تنوع الأفكار وتعدد وجهات النظر، ولدخل الناس في حرج إذ أنه يؤدي إلى تعطيل الحياة؛ ذلك بأن وظائف الخلافة مختلفة ومتعددة ومتنوعة، ولا وسيلة للتكامل إلا بتنوع الاستعدادات والمواهب والميول والعقول والفهوم. ولِتفاوتِ الفهوم الأثر الكبير في نجاح الحوار وعدمه. ومن الوصايا في هذا الشأن: "لا ترد على أحد جواباً حتى تفهم كلامه، فإن ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكد الجهل عليك. ولكن افهم عنه، فإذا فهمت فأجبه، ولا تعجل بالجواب قبل الاستفهام. ولا تستح أن تستفهم إذا لم تفهم، فإن الجواب قبل الفهم حمق... واستفهامك أجمل بك، وخير من السكوت على العي"(٢). فالفهم أهم ركيزة للحوار، وسوء الفهم قد يجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً. والحذر كل الحذر من الفهم بخلفية فكرية مسبقة، وحمل عبارات الحوار ومعانيه عليها. قال الجويني: "وعليك بمراعاة كلام الخصم وتفهم معانيه على غاية الحد والاستقصاء، فإن فيه أماناً من اضطراب ترتيب فصول الكلام عليك،

---

(١) مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين/ ٣٧.
(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٤٨.

فيسهل عليك عند ذلك وضع كل شيء في موضعه. وفيه أيضا أمان من تلبيس الخصم والذهاب عن تزويره، ولا تمكنه من جمع القصور عليك في الأسئلة والأجوبة، وإن طول عليك كلامه بعباراته الطويلة، فلخص من جميعها موضع الحاجة إليه فتحصره عليه، ثم تكلم فيه بما يليق به..."[1]، وذلك حتى لا يتكلم المرء بما ليس له به علم. يقول البغدادي في ذكر آداب الجدل والمناظرة: "وإذا وقع له شيء في أول كلام الخصم فلا يعجل بالحكم به، فربما كان في آخر كلامه ما يبين الغرض بخلاف الواقع له، فينبغي أن يتثبت إلى أن ينقضي الكلام، وبهذا أدب الله تعالى نبيه ﷺ في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ (طه: من الآية ١١٤). ويكون نطقه بعلم، وإنصاته بحلم، ولا يعجل إلى جواب، ولا يهجم على سؤال، ويحفظ لسانه من إطلاقه بما لا يعلم، ومن مناظرته فيما لا يفهمه، فإنه ربما أخرجه ذلك إلى الخجل والانقطاع"[2]؛ ذلك بأن المراسم الجدلية تفصل بين الحق والباطل، وتميز المستقيم من السقيم، فمن لم يحط بها كان في مناظرته كحاطب ليل[3]. ومما أوصى به عمر رضي الله عنه أباموسى الأشعري رضي الله عنه: (...فافهم إذا أدلي إليك – ثم كررها –: الفهم الفهم فيما أدلي إليك)[4].

ثامناً – الإنصاف في الحوار:

أ – مشروعية الإنصاف في الحوار:

لا ينفع الحوار ولا يحقق مقاصده إلا مع العدل والإنصاف، والمساواة بين المتحاورين حتى ولو كانوا مختلفين في العقيدة والدين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ (الأنعام: ١٥٢).

---

(١) الجويني: الكافية في الجدل/٥٣٥.

(٢) البغدادي: الفقيه والمتفقه ٢/٣١.

(٣) ابن الجوزي، يوسف بن عبد الرحمن: الإيضاح لقوانين الاصطلاح، القسم الثاني/٥.

(٤) أخرجه الدارقطني في سننه: كتاب الأقضية، باب كتاب عمر. وهو من طريقين: طريق ضعفه، وطريق سكت عنه. قال ابن قيم الجوزية في إعلام الموقعين ١/٨٥: "إن هذا الكتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول".

قال ابن عاشور: "هذا جامع كل المعاملات بين الناس بواسطة الكلام، وهي: الشهادة، والقضاء، والتعديل، والتجريح، والمشاورة، والصلح بين الناس والأخبار المخبرة عن صفات الأشياء في المعاملات... والعدل في ذلك: ألا يكون في القول شيء من الاعتداء على الحقوق"(١). وقال تعالى عن المساواة: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤) و"المراد بسواء: إما العدل، وإما: القصد الذي لا شطط فيه"(٢). ولا شك أن مثل هذا يبرهن على الإنصاف في الحوار، والمحافظة على حقوق المحاورين. و"إلا فالظالم يجحد الحق الذي يعلمه، وهو بذلك مسفسط مقرمط، أو يمتنع عن الاستماع والنظر في طريق العلم، وهو المعرض عن النظر والاستدلال... ولما كانت المحاجة لا تنفع إلا مع المساواة والعدل قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، فالظالم ليس علينا أن نجادله بالتي هي أحسن(٣). "بخلاف من طلب العلم والدين ولم يظهر منه ظلم، سواء أكان قصده الاسترشاد، أم كان يظن أنه على حق، يقصد نصر ما يظنه حقا"(٤).

ب - جوانب الإنصاف في الحوار:

الإنصاف في الحوار له جوانب متعددة منها: الشعور بالتكافؤ بين المتحاورين، وعدم التشويش عليهم، والموازنة بين أقوالهم وأدلتهم وبراهينهم.

١ - **الشعور بالتكافؤ بين المتحاورين:** إن غياب الشعور بالندية والتكافؤ بين

---

(١) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ٤/٨/١٦٦.
(٢) المرجع السابق ٢/٣/٢٦٩.
(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٤/١٠٩.
(٤) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/٦٧.

المتحاورين يجعل الحوار عقيماً لا يؤتي ثماره ولا يحقق مقاصده، مثل: اعتقاد اليهود بأنهم شعب الله المختار ومن عداهم عبيد لهم، يقول بولس اليهودي[١] في رسالته لأهل غلاطية: "لكن ماذا يقول الكتاب؟: اطرد الجارية وابنها؛ لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة. إذًا أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أبناء الحرة"[٢]. واعتقاد النصارى بأن من ساهم في الحروب الصليبية التي انطلقت صوب بيت المقدس تسمى: "جيوش المسيح"، والمشاركون فيها اعتبروا: "جنود الرب". وعلى مدى قرنين ظلت الفتاوى تصدر من الفاتيكان محرضة ومشجعة مسيحيي أوروبا على تخليص أرض المسيح، تارة بوعدهم بمغفرة الرب – وتلك هي بداية صكوك الغفران–، وتارة بإغرائهم بحقهم في تملك فلسطين بصفة أبدية، وتارة عبر الادعاء بأن إبادة المسلمين الموجودين في بيت المقدس هي من قبيل "نحر القرابين" دليلاً على التقوى[٣]. أفكار أصبحت عندهم بمثابة المسلمات، ومثل هذا لا ريب أنه من معوقات الحوار. ويعتقد "فوكوياما" بأن تطور المجتمع البشري بلغ نهايته بالحرية والديمقراطية الغربية والرأسمالية القائمة على اقتصاد السوق، وفي ضوء تلك النظرية يعتقد بأن العالم الإسلامي قادر على مواكبة الحداثة ولكنه غير قادر على الإيمان بالتعددية والتسامح[٤]، أي أن العالم الإسلامي لا يستطيع التسامح مع الديانات الأخرى. وفي هذا تجن كبير يفنده قوله تعالى: ﴿لَّا

(١) بولس اليهودي كان ظالماً غاشماً مبغضاً للمسيح، ثم بعد ذلك آمن بالمسيح، وبنيت كنيسة باسمه: "كنيسة بولص" المشهورة بدمشق (ابن كثير: البداية والنهاية ٢/ ١٠٠ و١٠١).

(٢) خالد السيوطي: الحوار بين الديانات الثلاث/٣٧، نقلا عن: بولس اليهودي في: رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٤/ ٣٠ و٣١.

(٣) خالد السيوطي: الحوار بين الديانات الثلاث/٣٦، نقلا عن: فهمي هويدي: اعتذار لسنا طرفا فيه، مقال بجريدة الأهرام، صفحة: ١١، العدد ٤١٣٧٨، السنة ١٢٤، ١٥ من ذي الحجة ١٤٢٠هـ/٢١ مارس ٢٠٠٠م.

(٤) محمد السطوحي: حوار مع فوكوياما عن الإسلام: الأصولية، الحداثة، مجلة وجهات نظر، عدد مارس رقم ٣٨، سنة ٢٠٠٣، ص ١١–١٥.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨)، فالمسلم المتبع لتعاليم دينه الحنيف يدخل الحوار وهو يشعر بالمساواة الكاملة بين بني البشر، يغذي هذه المشاعر نصوص من الكتاب والسنة تحترم النفس البشرية، وتأمر بالتعامل معها على أنها مُكَرَّمة، بقطع النظر عن لونها ودينها وجنسها؛ قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، فالكل من آدم، وآدم من تراب. وها هو النبي ﷺ في سيرته العطرة [تمر به جنازة فيقوم، فقيل له: إنها جنازة يهودي! فيقول ﷺ: أليست نفساً؟!][(١)]. وها هم صحابته – رضوان الله عليهم – من بعده يقررون ما قرره عمر رضي الله عنه: "مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟"[(٢)]. بالإضافة إلى ذلك أن المسلم يؤمن بالأنبياء جميعاً ويقر بنُبُوِّتهم، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣). وقال الرسول ﷺ: [أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة. والأنبياء إخوة لِعِلَّاتٍ؛ أمهاتهم شتى ودينهم واحد][(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/٤٤١ و٤٤٢، رقمه: ١٢٥٠ كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي.

(٢) القرشي، عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح مصر وأخبارها ١/٢٩٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/١٢٧٠، رقمه: ٣٢٥٩ كتاب التفسير، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ (مريم: ١٦).

وفي هذا الحديث يبين لنا الرسول (أن العلاقة بين الديانات علاقة تكامل لا تنافر، قال الرسول ﷺ: ﴿إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين﴾[1]. وما ذكرته يؤكد أن غياب الندية والتكافؤ بين المتحاورين يؤدي إلى عدم تحقيق الحوار لأهدافه المرجوة منه.

٢ - **تجنب التشويش على من تحاور:** آداب الحوار تقتضي عدم التشويش على أقوال الخصم أو ضرب بعضها ببعض، "فإن مثل هذا الغرض لا يليق، فإن العالم بما هو عالم إنما قصده طلب الحق، لا إيقاع الشكوك وتحيير العقول"[2]، إذ أن مقابلة الإشكالات بالإشكالات لا تقتضي هدماً، وإنما تقتضي حيرة وشكوكاً عند من عارض إشكالاً بإشكال ولم يَبِنْ عنده أحد الإشكالين وبطلان الإشكال الذي يقابله... والواجب الابتداء بتقرير الحق قبل الابتداء بما يوجب حيرة الناظرين وتشككهم[3].

٣ - **الموازنة بين أقوال من تحاور وأدلته وبراهينه:** من الإنصاف في الحوار الاجتهاد في فهم آراء الخصم ضمن مرجعيتها، والتزام العدل والنزاهة في تقييمها، فإذا وجد له قولاً شنيعاً وآخر محموداً، فلا يبخسه حقه، فإن الله يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧-٨). قال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين: ٢-٣): "دلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في عموم هذا: الحجج والمقالات؛

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/١٣٠٠، رقمه: ٣٣٤٢؛ كتاب التفسير، باب خاتم النبيين.
(٢) ابن رشد: تهافت التهافت/١٥٠.
(٣) المرجع السابق/٨٣ بتصرف.

فكما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ما له من الحجج، فيجب عليه أيضا أن يبين ما لخصمه من الحجة التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو.

وفي هذا الموضع يُعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه"[١]. وكذلك ينبغي الاعتراف بالفضل لأهله فيما يستفيده من محاوريه من فوائد ومعلومات "فإذا أخطأوا في شيء فليس من الواجب أن ينكر فضلهم في النظر وما راضوا به عقولنا"[٢].

---

(١) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧/٥٨٦ و٥٨٧.

(٢) ابن رشد: تهافت التهافت/ ٢٠١. والكلام هنا على فضل الفلاسفة في صناعة المنطق، حتى صرح الغزالي بأنه لا سبيل إلى أن يعلم أحد الحق إلا من هذه الصناعة...

خاتمة

وختاماً فقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات:

أولا – أهم النتائج:

١ – أن الحوار مع الآخر قبس من الكلمة الطيبة التي تؤتي ثمارها كل حين بإذن ربها، ولا يتم ذلك إلا تحت ظلال التسامح، بعيدا عن أجواء الرعب وحمأة الاستكبار، مع ما يمتلكه المسلم من قيم ربانية، وبما حباه الله من شخصية حضارية، وقدرة على الاستفادة من التجارب التاريخية، كل ذلك يجعله في موقع التمكين والقدرة على محاورة الآخرين والوصول إلى نتائج إيجابية.

٢ – الحوار أمر ضروري لإقامة علاقات طيبة مع الآخرين، لأن الإنسان لا يستغني عن أخيه الإنسان في معاملاته اليومية وحياته الشخصية.

٣ – الحوار الهادف بين مختلف التوجهات وعلى جميع المستويات منهج أصيل دعت إليه الشريعة الإسلامية وحرصت على تأمين المناخ المناسب له؛ وذلك بعرض المسائل عرضاً موضوعياً وبأسلوب شيق ومهذب، مع معرفة رغبات المخاطَبين وآمالهم وأهدافهم، وفي جو من الحرية في إبداء الرأي.

٤ – أن يجري الحوار بين أناس يتصفون بالعلم والذكاء، وسلامة القلب من الأهواء، ومن الغرور والتباهي والأنانية.

٥ – الحوار من أنجع الوسائل لتحقيق جملة من المقاصد الشرعية، مثل: التعارف والتعاون والتعايش السلمي.

٦ – الحوار يساعد على إيجاد مساحة من التفاهم مع الآخر، يستطيع المسلم وغير المسلم التعامل من خلالها ضمن قدر مشترك من القيم الإنسانية النبيلة.

٧ – الحوار يحقق دعوة الإسلام إلى التعاون الذي لا ينحصر في نطاق الأمة التي كوَّنَها، بل يكون على نحو من السعة والشمول بحيث يسع "الحياة الإنسانية" بأكملها، دون تخصيص جانب على جانب، ولا طرف على طرف، مما يكون له الأثر الجيد في "التواصل الحضاري بين الشعوب". وأهم خاصية للتعاون البناء: التجاوز عن نقاط التباعد والتنافر، والتركيز على نقاط الاتفاق.

٨ – الحوار يهيئ الأجواء المناسبة لأن يحيى الناس في سلم وسلام قائمين على احترام متبادل بما يؤسسه من اعتراف بالاختلاف، وتقبل للآخر، وفسح المجال أمام الآراء المختلفة.

٩ – الحوار الذي ندعو إليه يسهم في إحقاق الحق، ويساعد على التعرف على الإسلام، وشمولية رسالته العالمية العظيمة. وليس من مقاصد الحوار الشرعية الدعوة إلى توحيد الأديان في دين واحد، يختلط فيه الحق والباطل، لأن الحق يكشف زيف الباطل ويدحضه، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

مقاصد الحوار وأهدافه المرجوة منه لا تتحقق ما لم يكن هذا الحوار قائما على جملة من الأسس، ومنضبطا بجملة من الضوابط، مثل: التواضع، والمحاورة بالتي هي أحسن، والالتزام بالأسلوب المهذب والخالي من عبارات التجريح، والإتيان بالدليل الساطع والبرهان الناصع...

ثانيا – أهم التوصيات:

١ – إعادة صياغة جديدة لمقاصد الشريعة الإسلامية، وذلك بنشر الوعي بها، وإعادة النظر في مضامينها، بإبراز مقاصد الشريعة في مجال الإنسانية خاصة دون إهمال بقية الجوانب الأخرى، وعندئذ يتم التواصل البناء بين الشعوب.

٢ – تربية الناشئة على السلوك الحواري، وتأديبهم بآدابه وأخلاقه، فكلما رسخت في نفوسهم التربية الخلقية، كلما كانت حواراتهم أكثر فاعلية.

٣ – تنظيم لقاءات حوارية بين مختلف شرائح المجتمع، والتعرف عن قرب على الآخر، والوقوف على طبيعة تفكيره.

٤ – تشجيع مراكز البحوث والجامعات على نشر ثقافة الحوار، وتعزيز دور الجامعات ومراكز البحث في نشر الثقافة الحوارية، والعمل على إعداد الأكفاء لذلك،

وفي الختام: إذا كان ديننا الحنيف يدعونا إلى الحوار مع الآخر ويحثنا عليه، فما بالنا اليوم نعمل على غلق منافذ الحوار فيما بيننا؟!

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني: الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ).

٣ - البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الخامسة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، اليمامة، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

٤ - البيهقي، الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين: المدخل إلى معرفة السنن الكبرى، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، (١٤٠٤هـ).

٥ - البيهقي، الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين: معرفة السنن والآثار عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: سيد كسروي حسن، بدون طبعة، بيروت، دار الكتب العلمية.

٦ - الترمذي، محمد بن عيسى: الجامع الصحيح، تحقيق محمود محمد، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

٧ - التويجري، عبد العزيز: الحوار من أجل التعايش، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

٨ - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، الرياض، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

٩ - ابن تيمية، أحمد: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، الرياض، مطابع المجد.

١٠- ابن تيمية، أحمد: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن النجدي وابنه محمد، القاهرة، طبع إدارة المساحة العسكرية، تنفيذ مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، (١٤٠٤هـ).

١١- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دمشق، دار النشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).

١٢- الجابري، محمد عابد: تفكيك الأصول وتصحيح الفصول، موقع: http://www.aljabriabed.net/pape1.htm

١٣- الجرجاني، علي بن محمد: كتاب التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

١٤- الجويني، عبد الملك: غياث الأمم والتياث الظلم، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم، ود. مصطفى حلمي، الإسكندرية، دار الدعوة، الطبعة الأولى، (١٩٧٩م).

١٥- ابن الجوزي، يوسف بن عبد الرحمن: الإيضاح لقوانين الاصطلاح (في الجدل الأصولي الفقهي)، تحقيق: د. فهد بن محمد السدحان، الرياض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ/١٩٩١م).

١٦- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري: المدخل إلى الصحيح، تحقيق: د. ربيع هادي المدخلي، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤٠٤هـ).

١٧- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري: المستدرك، بيروت، الطبعة الأولى، بيروت، دار المعرفة، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

١٨- ابن حبان، محمد بن أحمد: الثقات، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

١٩- ابن حبان، محمد بن أحمد: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق:

شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

٢٠- ابن حزم، علي بن أحمد: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، الطبعة الثانية، بيروت، دار الآفاق الجديدة، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٢١- ابن حجر الهيثمي: الفتاوى الفقهية الكبرى، بيروت، دار الفكر، د.ط.، د.ت.

٢٢- ابن حنبل، أحمد: الموسوعة الحديثية (المسند)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

٢٣- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي: الفقيه والمتفقه، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الطبعة الثانية، السعودية، دار ابن الجوزي، (١٤٢١هـ).

٢٤- الخطيب، د. سليمان: فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

٢٥- الديب، د. عبد العظيم محمد: الحوار والتعددية في الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، المنصورة، دار الوفاء، (١٤١٧هـ/١٩٩٦).

٢٦- الدريني، د. فتحي: دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، الطبعة الأولى، دمشق، دار قتيبة، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

٢٧- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٤٠٧هـ /١٩٨٧م).

٢٨- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

٢٩- ابن رشد، محمد بن أحمد: تهافت التهافت، تقديم وضبط وتعليق: د. محمد العريبي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر اللبناني، (١٩٩٣م).

٣٠- ابن سعد: الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، (بدون).

٣١- السطوحي، محمد: حوار مع فوكوياما عن الإسلام: الأصولية، الحداثة، مجلة وجهات نظر، عدد مارس رقم ٣٨، (٢٠٠٣م).

٣٢- السعدي، عبد الرحمن بن الناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق محمد زهري النجار، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٣٣- سليم، محمد حامد: المتغيرات الأساسية في تجاوب المدعو للدعوة، المطبوع في: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، النظرية والتطبيق: أبحاث ووقائع اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض بتاريخ: ٢٣ شوال ١٣٩٦هـ، الموافق: ١٦/١٠/١٩٧٦م، الطبعة الأولى، الرياض، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

٣٤- السيوطي، د. خالد: الحوار بين الديانات الثلاث في عصر العولمة، الطبعة الأولى، العجوزة، مكتبة الإيمان، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

٣٥- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد أبو بكر الحافظ: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: مختار أحمد الندوي، الطبعة الأولى، بومباي الهند، الدار السلفية، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٣٦- الشاطبي، إبراهيم بن موسى: الموافقات، ضبط: مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، الجيزة، مصر، دار ابن عفان، (١٤٢١هـ).

٣٧- الصالح، د. صبحي: الإسلام ومستقبل الحضارة، الطبعة الثانية، دمشق، بيروت، دار قتيبة، ودار الشورى، (١٩٩٠م).

٣٨- الصويان، أحمد بن عبد الرحمن: الحوار: أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، الطبعة الأولى، الرياض، دار الوطن، (١٤١٣هـ).

٣٩- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم: المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين، (١٤١٥هـ).

٤٠- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم: المعجم الصغير

(الروض الداني)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الطبعة الأولى، بيروت، عمان، المكتب الإسلامي، دار عمار، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
٤١- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري، بيروت، دار الكتب العلمية، (بدون).
٤٢- طنطاوي، محمد سيد: أدب الحوار في الإسلام، د.ط، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٩٩٧م).
٤٣- ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون، (١٩٩٧م).
٤٤- عجك، بسام داود: الحوار الإسلامي المسيحي: المبادئ التاريخ الموضوعات الأهداف، الطبعة الأولى، دمشق، دار قتيبة، (١٤١٨هـ/ ٢٠٠٣م).
٤٥- العسكري، د. سليمان: الإسلام والغرب، رقم٤٩، مجموعة من الكتاب، الطبعة الأولى، (٢٠٠٢م).
٤٦- ابن عبد البر، يوسف النمري: جامع بيان العلم وفضله، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٣٩٨هـ).
٤٧- عليوى، ابن خليفة: جامع النقول في أسباب النزول وشرح آياتها، الرياض، مطابع الإشعاع، ط ١، (١٤٠٤هـ).
٤٨- الغزالي، محمد: فقه السيرة، خرج أحاديث الكتاب: محمد ناصر الألباني، الطبعة الرابعة، دمشق، دار القلم، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
٤٩- ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، إيران، دار الكتب العلمية، دون ذكر الطبعة والتاريخ.
٥٠- القرشي، عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد الحجيري، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
٥١- القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ط ٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م).

٥٢- قطب، سيد: في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

٥٣- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، الكويت، مؤسسة الريان، ط ١، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

٥٤- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء: البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف.

٥٥- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مقابلة د. عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

٥٦- مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دمشق، دار الفقه، إصدار ندوة مالك بن نبي، (١٩٧٨م).

٥٧- المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرجيم: تحفة الأحوذي، بيروت، الكتاب العربي، (بدون).

٥٨- المدائني، عز الدين بن هبة الله: شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

٥٩- مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، (بدون).

٦٠- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت، دار صادر، (بدون).

٦١- المويل، محمد كمال: الحوار في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفارابي للمعارف، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٦٢- النووي، يحيى بن شرف: شرح النووي على صحيح مسلم، بيروت، دار الفكر للطباعة، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٦٣- أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي التميمي: مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، دمشق، دار المأمون للتراث، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).